التربية

(في النظريات الحديثة)

وهي خطبة ألقاها على رهط من اساتذة المدارس في بغداد الاستاذ عبد الله بك الحاج معاون رئيس الديوان الملكي ببلاط بغداد والمحاضر في جامعة آل البيت في العاصمة العراقية في على البسيكولوجيا والبيدغوجيا وخريج جامعة كولومبيا في نيويورك

***

اقدمت على هذا الموضوع والبحث فيه، لا اعتقادا مني بسهولته وقلة أهميته ،ولا مغالاة في اقتداري على معالجته معالجة تامة · بل تقديرا لما له من الخطورة في تكوين الامم ومعالجة المشاكل الاجتماعية ، وما له من التأثير في تكييف التمدين البشري .

وستلاحظون في اثناء البحث جهات الحياة المتعددة ، التي يتناولها هذا الموضوع والتي يحتاج كل منها قائما بذاته ، الى بحث مستفيض ·

فمراعاة لهذه الحالة نويت أن أعرض عليكم بصورة موجزة نظرية جديدة في التربية وصورة عملية التربية بشكل يريكم حصولها ويريكم تداخل العوامل و القوى التي تؤثر في حقل التربية ، و بيان عام موجز عن حالة التربية في هذا القطر . فاذا نجحت فتلك غايتي، واذا فشلت ، فسوف لا يكون ذلك أول وآخر اختباراتي في الحياة . فقد فشلت كثيرا قبل الآن وكثيرا ما سأفشل من بعد ذلك ·

أما الطريقة التي اتبعتها في معالجة الموضوع فهي شرح وتفصيل ما اختبرته في حياتي في البيت كولد وفي المدرسة كطالب ومعلم ، وخارج المدرسة كشاب ورجل في ميادين الحياة الاخرى، وما بقي في نفسي من أثر لهذه الاختبارات وما علق بذهني من افكار وآراء لعلمي في المدارس، والكتاب والمؤلفين في الكتب ، وما وصلت اليه حتى الآن من نتيجة في حياتي ، وما أهتم به من الامور لمتابعة سيري في الحياة على أساس التربية والنمو والتشبث الدائم في هذه السبيل . غير اني لا ادعي ألبتة العصمة في قولي وآرائي كما واني لا اضع المسؤولية على أحد فيما سأقوم ببيانه لكم . بل أرجو منكم أن تعدوني المسئول عن علمي الآن ان كان ذلك صوابا أو خطأ، واذا لم يرق لكم قولي فلا تتقيدوا به وقولوا رجلا قال ·

التربية ومعناها التنمية والتقوية والاحياء ، و من معانيها أيضا التهذيب والتشذيب وهذا يتضمن الاضعاف والاماتة والاتلاف

ثلاثة رجال فى العراق الواحد يربى نوعا من الحنطة لسوق لندن والثانى يربى نوعا من الخيل لسباقات الهند ، والثالث يربى مجموعا من الاولاد لخدمة الوطن . انكلا من هؤلاء الرجال الثلاثة هو مرب ويجابه مسائل تربيوية متشابهة من حيث الاساس ؛ ومتباينة من حيث الغاية. فالاولى منها ان تعين الطلب على صفات معينة فى الحنطة والخيل والرجال ، الاولى لسوق لندن ، والثانية لسباقات الهند . والاخيرون لخدمة العراق ، ويحتم على كل من اولئك المربين الثلاثة وضع مناهج معينة لحياة هذه المواد وتربيتها ، من شأنها ان تضمن الى درجة قصوى انتاج تلك الصفات المطلوبة . ومنها ان كلا منهم عليه ان يسير فى مباشرة عمله على طريقة ، وبموجب أصول ومبادىء تربيوية واحدة متكررة فى اعمال كل واحد منهم . ومنها انه بالرغم من وضع المناهج واتباع الاصول فكثيرا مانرى المربين يفشلون فى انتاج الشىء المطلوب . ان معالجة هذه النقط الثلاث اى وضع المنهج والسير بموجب اصول معينة والفشل فى انتاج الصفات المطلوبة ، تؤلف قسما مهما من موضوع التربية

اما الثانية ، أى التباين من حيث الغاية فى تربية النبات والحيوان من جهة ، وتربية الانسان من جهة اخرى ، فهى اننا نربى الاولين كواسطة لسد حاجات المجتمع من دون أن يكون لنا من تربيتهم غاية سوى ذلك بينما نحن مع اننا نربى الانسان للقيام بحاجات المجتمع - والانسان لايفرق من هذه الجهة عن النبات والحيوان - فأننا فوق ذلك نربيه لغايات أخرى كانت منذ القديم مدار بحث الفلاسفة والمفكرين والانبياء ورجال السياسة والتشريع وقادة الامم وإهتمامهم ، حتى ان الانبياء والفلاسفة هبوا الى تعليل بدء الخليقة وما بعد الموت للبحث والتفكير فى معالجة هذه الغايات وتعيينها ، وعلى اسس فلسفة هذه المباحث قامت المدنيات الغابرة والحاضرة ، اذ ان التمدن فى رأيى هو اجتهاد فى الجواب عن ماهية الحياة وغايتها وكيفية العمل فى سبيلها هذه وهذا بذاته يعنى التربية بمعناها الواسع . لقد كانت التربية الى اليوم واسطة لتحقيق غايات مقررة فى الحياة . اما الآن فأننا نرى اتجاها جديدا فى تفسير معنى التربية والحياة وغايتها ، واصبحت التربية فى رأى البعض من فلاسفة هذا العصر غاية بذاتها لا واسطة

لغايات اخرى خارجية ، و انها والحياة شيء واحد لا يمكن الفصل بينهما . وهذا التطور منشؤه الانقلاب الفكرى الحديث فى بعض جهات التفكير التى منها (اولا) التحول من الاعتقاد بأن الحياة غايتها فى يد قوة خارجة عن هذا الكون حكيمة مدبر تشرف على اعمال البشر ، الى الاعتقاد بأن الحياة غايتها فى ذاتها ليس الا (وثانيا) الانقلاب من ان مصدر الحكمة هو الوحى والتصور ، الى أنه الملاحظة والاستقراء والاختيار ، و (ثالثا) الانتقال من الاعتقاد بأن الخير والشر ازليان فى الاشياء وفى الحياة ، الى أن الأشياء تصلح وتفسد بالاستعمال ، وان الحياة تحسن وتفسد بالوسائط .

إن البحث فى فلسفة النظرية الجديدة التى تدور حول علاقة التربية بالحياة وغايتها وما يترتب عليها من الانقلابات فى الحياة الاجتماعية كافة دقيق جدا ، يؤلف اليوم اعظم مشكلة فى ميدان التربية . وضيق المقام يضطرنى الى التخلى عن الافاضة فى نقطه المتعددة ونقدها . غير انه يجدر بى ان استعرض امامكم بعض القضايا الرئيسية فى هذا المضمار . يقال : اولا :

إن سوء فهم الحياة ادى الى سوء فهم التربية ، وعلى ذلك ساءت الحياة وفسدت المدنيات الغابرة وانقرضت

٢ــ ان ماوصل الينا من المؤسسات الاجتماعية عن طريق الوراثة معظمه مبنى على سوء فهم الحياة ونتيجة ذلك سوء التربية . وان تمدننا الحاضر لا محالة هاو بسبب ذلك

٣ ــ ان طريق الخلاص من النتائج السيئة التى تحتمها علينا مدنيتنا الحاضرة هو حسن التربية ضمن حدود الاعتبار ــ والعمل بموجبه ــ بأن الانسان قبل كل شيء وفوق كل شيء ، مقدس لا يجوز التصرف فيه كما نتصرف فى الحيوان والنبات ، اووضع قيمة استثمارية لحياته وتربيته اللتين هما غاية واحدة متلازمة تخضع لها كافة الغايات والاعتبارات الأخرى على اطلاق القول .

ان الطبيعة بذاتها لا تعقل ، وليس لها أى نظام ادبى اوغاية معنوية ، بل هى فوضى . وان كل مانستطيع عمله هو ان نكتشف طرق عملها ونتائج تأثيرها ، ونقتبس منها ذلك ، ونسخر ماظهر لنا منها وعلم لدينا ، لاكتشاف وتسخير مالم يظهر بعد وما هو مجهول . أما النظم والغايات فهى من عملنا ووضعنا .

هذه بعض القضايا الرئيسة فى بحث التربية اليوم، وان نظرة واحدة الى مؤسساتنا الاجتماعية التى نعيش فى ظلها ، تكفى لاقناعنا بحقيقة وجود هذه القضايا و ان الفساد المتشبعة به نظم هذه المؤسسات ، ومانعانيه من المشاق بسبب ذلك فى سبيل الحصول على الشىء اليسير من الراحة ، يحملنا على الميل الى الاعتقاد بصحة تلك الدعاوى

إن المدنية الحاضرة تمادت الى حد بعيد فى الاساءة الى الغاية من حياة الانسان وتربيته. وأيقنوا بأن مانعانيه نحن من فساد الحياة والتربية من هذه الجهة فى هذه البلاد ، يشاركنا فيه كافة البشر فى البلاد الاخرى . ولا يغرنكم تباين الاشكال والصور . فاليكم المؤسسات التى تستعبد الانسان وتستغله كالحيوان وتدفع عن هذا الاستعباد والاستغلال بالدعايات المتنوعة وبالسلاح . واليكم الاخبار التى تنقلها الينا الصحف عما يجرى يوميا على هذه الارض من المزاحمة والسباق والغلو فى تعزيز كيان المؤسسات المهلكة المدمرة أكثر من تعزيزها المؤسسات التى من شأنها التأمين على حياة الانسان وضمان نموها، وها كم التشكيلات العالمية الحاضرة التى معظمها يستند الى فلسفة فاسدة فى تفسير التاريخ، دفاعاً عن تلك المؤسسات وعلى فلسفة علمية مغلوطة فى تفسير النمو والارتقاء، تبرير ذلك السباق والغلو . واليكم الاعتقاد بصحة وقدسية التقاليد الموروثة فى الدين والدولة والاعتقاد ببقاء الانسب، اللذين يحملان بذور الفساد والشر فى هذه المدنية التى لا يسهل فيها على احد مطلقا تعيين أى التقاليد اصح ، أو تعيين من هو الانسب بعد التسليم بقدسية تلك الاعتقادات . هبوا انه حصل خلاف كما هو حاصل على الدوام — على تعيين ذلك، فكيف نحله ياترى فى هذا العصر ؟ واذا سئلنا عما اذا كان فى إمكان هذه التقاليد ولهذا الانسب ، قوة يستند اليها غير السلاح والغش فى استمرار بقائه ، فماذا يكون الجواب ؟

لاشك فى أن الحرب العالمية الاخيرة ومانتج عنها من مسائل عالمية ، كشفت ستر الرياء الذى كان يغطى بتبجح العالم الحاضر بمدنيته ـ وانتم ادرى بما كان للتصديق بذلك التبجح من العواقب. هذا ولا تظنوا أن « حليمة » قد غيرت عادتها بعد الحرب. فاليكم المؤتمرات الآخذة بالانعقاد فى اوربا حول تحديد السلاح او بالحرى تحديد الشر، او التى، بحسب الظاهر، تدل على تطور فى اخلاق « حليمة »، غير ان النتائج لا تتقدم لاسباب. ذلك محال الا فى عالم المعجزات، وعلينا أن لانصدق الدعايات المنظمة لحملنا على الانخداع

بمثل هذه المظاهر قبل أن نتأكد من أن مناهج التربية فى العالم قد اخذت فى الاعتدال والاتجاه نحو الغاية التى تدعى انها تسعى لتحقيقها . فبالنظر الى حالة المدنية الحاضرة واوضاعها واشكالها ومؤسساتها ، وذلك فى السياسة والدين والصناعة والتجارة والزراعة والتشريع والعقائد والتقاليد والآداب والاخلاق وفى الانتاج والتوزيع والاستهلاك وفى الضرائب ، وبمقتضى رغبة الانسان فى اصلاح شأن المعيشة والحياة فى ميادين العمل كافة ، لا يسعنا الا التسليم بأننا على اساس مناهج التربية المبنية على ان الحياة فى الانسان كما هى مقدسة فى الواحد كذلك هى فى الآخر مقدسة فوق كل مقدس ، وأن غايتها الاستمرار على النمو المطرد من الحسن الى الاحسن والافضل والاغنى وبتهيئة الوسائط لتحقيق ذلك نستطيع ان نصلح مؤسساتنا ، ونعدل أوضاعنا ونشيد هنا وعلى هذه الارض المدنية « الطوبى » التى ستكون مع شىء من التعديل ، كجنة الآخرة او كملكوت السماوات . وعلينا ان نطالب القوى بأن يبدأ على هذا الاساس فى تربية امته قبل الضعيف الذى قد سلم بهذه القضية بحكم الضرورة

ربما يميل البعض الى الاعتراض على هذا الرأى وينتقده من حيث هو عبارة عن صورة تستند الى التمنى والخيال ، ويقول أن لدينا من المسائل القريبة والمستعجلة ما يتطلب المعالجة والحل اليوم وغداً ، واننا مقيدون بمناهج فى مدارسنا وقوانين فى البلاد واوضاع عالمية قاهرة مسيطرة ، لا غنى لنا عن اتباعها ومراعاتها ، لا فرق بين ان نعتقد بصوابها او بخطئها ، وربما يتسرب اليأس والقنوط الى البعض على اثر ادراكه مهمة الاصلاح العظيمة فى التربية التى تدعونا اليها تلك النظرية فى الحياة . غير انه لم يفتني اعتبار مثل هذا الانتقاد . ولم اقصد أن اميل بالقراء الى ترك المسائل القريبة والمستعجلة ولا نويت ان اوهم ليأسوا ، بل قصدى هو ان تتبينوا هذه النظرية وعلى ضوئها تنظروا فى أعمالكم اليومية ، وفى وسائط الحياة التى بأيديكم والى الكتب والاخبار التى تطالعونها لاعتقادى بأن ذلك مما يقرب اليكم فهم التربية ، ويخفف عليكم عبء الحياة ، بأدراك غايتها منكم ، وفى الغير ممن لهم اتصال بكم ، لا كمدرسين ومعلمين لا غير ، بل كآباء وأخوان واصدقاء .

عملية التربية

يقول علماء الطبيعة

لافراغ فى الطبيعة . وانا اعتقد ان لا توقف فى الحياة ،وان اى عمل كان من أعمال الانسان ، لافرق بين ان يكون داخليا فى نفسه أو خارجيا فى البيئة ، له اثره فى حياة الانسان ، لدى معاناة هذا اياه فيها ،وبعد ذلك . وهذا الاثر فى اثناء حدوثه ، ينشىء مظهرا تربيويا فى حالة التكوين اما بعد التكوين ، فيصبح عاملا تربيويا فى الاعمال التالية . هكذا نرى ان التربية تستوعب الحياة،وهى جارية ما زالت الحياة جارية .

لينظر كل منا فى تاريخ حياته ويستقرىء الحوادث التى مرت عليه ، والاختبارات التى حصلت له منها وليتبصر الى العوامل المباشرة وغير المباشرة القريبه والبعيدة التى اثرت فى تربيته وصيرته فلانا مدرسا أومعلماً الآن ، وليحكم بعدهذا فى ما إذا كان فى استطاعته حصر تلك الحوادث، وتعيين اثرها فى تربيته وحياته ،واحصاء تلك العوامل وحصر نتيجتها فى تكييف اخلاقه وطباعه واقتداره وذكائه الخ . . فاذا كان فى استطاعتنا ذلك،ففى أستطاعتنا اذن الجواب على عملية التربية وكيفية حصولها،و بذلك نجيب على أعظم سؤال فى التربية والحياة معا

هذا واذا كان من الصعب علينا استقراء تاريخ حياتنا للجواب على كيفية تربيتنا ، فأطلب اليكم ان تفكروا فى كيف تربى الآن ،ولنجرب طريقا اسهل ليحل الآن كل منكم وعيه من قيد الانتباه إلى البحث الذى نحن بصدده ، وليترك ذاته على سجيتها لحظة من الزمن ، تنصرف إلى حيث تشاء من التكثير والاهتمام ، ثم عودوا وافتكروا بما جال فى رؤوسكم من الأفكار ، والى اين اتجه همكم ، واسألوا همكم لماذا فكرتم واهتممتم ببعض الامور دون سواها . فماذا يكون الجواب ؟ ان الامور التى تشغل أفكارنا واهتمامنا الآن قبل غيرها ، تعمل فى تربيتنا الآن اكثر من غيرها . كذلك الاعمال التى سنقوم بها بعد ساعة وبعد يوم ،ستعمل فى تربيتنا أيضا. فأعمالنا اليومية والنتائج التي نحصل عليها بنتيجة التفكير والاهتمام والعمل ، هى عوامل التربية . فتحديد معنى التربية اذن هو أنها نتيجة (كيفية) الحياة التى يختبرها الانسان من لحظة الى لحظة على الدوام وبلا انقطاع .

اذا سئل أحدكم اهو ابن امه أم ابن أبيه ، فالجواب العلمي يكون انه ابن الاثنين ، وان جميع ماديه من الصفات الموروثة هى نتيجة لعملية زواج والديه . كذلك ماهية شخص ما من حيث الذكاء والعلم والاخلاق، الخ هى نتيجة عملية اختبار هذا الشخص

شؤون الحياة التى عاناها منذ ولد فى هذه الدنيا ، وربما من قبل ذلك ، الى أن يموت . هكذا نجد أن حدود التربية هى من حيث الزمن مدة الحياة على سطح الارض ومن حيث الكيان هى الانسان وكل مايتصل به بالاختبار . ونرى أن عواملها لاتنحصر فى المعلم ولا فى المدرسة ، بل أنها كائنة فى كل مكان يتصل به الانسان وموجودة فى كل شيء مدنى يستخدمه البشر فى حياتهم المدنية من وسائط مادية كالسيارات مثلا ، أو أمور معنوية كالاعتقاد بالله . كذلك هي حاصلة فى حياة الانسان على الدوام وأمرها واقع لامحالة ، شئنا أم لم نشأ ولافرق بين أن نهتم بها ونتسلط على عواملها ونحسن شأنها ، و بين نتركها للفوضى ، ونسيء فهمها ونفسده ، و بذلك نفسد الحياة ونجعلها عبئا ثقيلا علينا . فحد التربية الحياة

التربية فى العراق

أن تجارب البشر هنا وهناك ، واختباراتهم ، اثبتت أن للمدرسة اثرا قويا جدا فى المجتمع والآراء الحديثة فى التربية والسياسة والاجتماع ، على أن المدرسة تكون افضل واسطة لتربية الامة . غير أن هذا البيان يعنى ايضا ان المدرسة تكون افعل واسطة لسوء ستعمال التربية وفساد المجتمع . والاختلاف كبير فى النظريات حول كيفية تأسيس المدارس ودور التربية مابين رجال التربية انفسهم من جهة ، ومابين هؤلاء وبين رجال السلطة فى الحكومة والدين والصناعة والتجارة وغير ذلك من المؤسسات الاجتماعية كالبيت والعائلة وغيرهم من جهة ثانية . والخلاف واسع جدا ومستحكم فى الاشكال . فالبعض يقول بأن المدرسة والمدرس هما مبدأ الاصلاح وعليهما تقع مسئوليته ، والبعض يقول بأن التشريع هو مبدأ ذلك ، وأن رجال السلطة فى الحكومة هم المسئولون . اما اذا قلنا إن المسئولية تقع على الجميع ، وأن لافرق بين ان نبدأ من هذه الجهة أو من تلك ، على ان نبدأ بشرط ان لايقاوم احد هذين الفريقين الآخر ، بل يساعده ويعضده ، فيكون قولنا اقرب الى الصواب وادعى للعمل واصح حجة على القعديين والسفطائيين .

يقال ان الخلاف الاول الذى حصل حول مهمة المدارس وقع مابين الفيلسوف العظيم « سقراط » والفيلسوف النبيل « افلاطون » لما كان هذا يكتب « جمهوريته » . قال افلاطون لاستاذه انه اذا أردنا اصلاح المجتمع فعلينا أن نؤسس مجتمعا تحكم فيه فلاسفة . فسأله سقراط . من اين تأتى بهم ؟ فأجابه نعلمهم . فابتسم سقراط . وكان فى

ابتسامته الجواب الكافى الذى مفاده اننا متى علمنا الانسان الفلسفة ، نكون بذلك قد قضينا عليه كفيلسوف . وهكذا نجد الخلاف فى هذا الشأن واقعا الآن مابين رجال التربية فى الاقطار المختلفة ، كما وانه واقع فى هذا القطر مابين الرجال المسئولين. فمسألة تربية الاولاد لخدمة البلاد اذن ، مسألة فيها نظر .

ذكرت فى مبدأ البحث أن على المربى أن يسير ضمن منهج بمقتضى طريقة وأصول معينة ، وانه بالرغم من ذلك كثيراً ما يفشل فى انتاج الصفات المطلوبة . فلنأخذ مسألة الفشل قبل البحث فى المنهج والاصول ، ولنحصر كلامنا فى ما يصيب تربية الانسان منها

لو نظرنا فى حالات الفشل التى تحصل عادة ، ليس فى ميدان التربية لا غير ، بل فى جميع ميادين الحياة الاخرى ، لوجدنا أن هناك عدة عوامل رئيسية أساسها واحد ، وأنه منشأ حالات الفشل كافة. منها ايجاد الأمل فينا بالحصول على شىء فى جهة معينة حيث لا مبرر لهذا الأمل ضمن مقدور تلك الجهة ، أى حبنا للسحر وتعلقنا بالمعجزات. ومنها تمردنا المستمر على الطبيعة ، وعدم اعترافنا بالأمور الراهنة ، وسعينا المستمر لوضع قوانين ثابتة لعالم متطور متبدل. ومنها عدم افساحنا المجال للأشياء المجهولة ، كى تلعب دورها فى النتائج التى نسعى لتحقيقها. أما الأساس فهو الغطرسة أو الكبرياء ، التى هى بنت الجهل. فلو اقتصرنا فى تربيتنا الاولاد لخدمة الوطن على المقدورات التى هى قيد التحقيق ، وتركنا المكابرة والتمرد على الحقائق ، لضمنا بالفعل خدمة الوطن الى حد بعيد ، ولتجنبنا الفشل فى كثير من الحالات

ان خدمة الوطن ليست بالشىء البعيد عن الاختبار اليومى ؛ والوطن هو أنتم ومصالحكم فى البيت وفى السوق وفى الحقول وفى الوظيفة وفى الطبيعة والجغرافية والفن ، وعلى الجملة فى كل ميادين الحياة وشئونها التى تعانونها يوميا. كذلك هو أجسامكم وعلمكم وأخلاقكم ومهارتكم وثروتكم الى غير ذلك. وخدمة الوطن الوطن هى خدمة ذلك كله . والمسألة الجوهرية فى الموضوع هى كيفية الحصول على تربية الامة لتحقيق تلك الخدمة. غير أنه من المحتم علينا تعيين الداء قبل وصف الدواء. وإنما فصل الخطاب هو عملية المداواة

لقد أجمعت آراء المفكرين فى هذا القطر على أن التربية

القومية التى ورثناها من العصر الغابر ، سيئة وعاجزة عن تعهد القيام بشؤون مصالح الامة حسبما يتطلبه منها الوضع فى هـذا العصر الحديث. والصحف المحلية و كذلك الآراء هنا وهناك ، آخذة فى التدليل على القصور والعجز فى قيامنا بالشؤون ومعالجة الأمور . فالاحساس بالنقص موجود ، والتفكير فى شأنه موجود ايضا . غير ان الاحساس بالمرض ومؤاساة المريض بالكلام والندب والبكاء ، حتى ولا العلاج ، كل ذلك بكاف وحده. وزيادة على ذلك فأن هناك الخطر الاعظم على المريض من التدجيل

ان معالجة المشكلات فى هذا العصر قد توصلت الى حد يضمن النجاح لدرجة ما. وذلك عن طريق توزيع العمل بموجب الاختصاص. فالسلطة المسؤولة عن الاصلاح تدعو لجنة اختصاصية وتعهد اليها بدرس الحالة التي تنوى معالجتها وهذه اللجنة تقوم بكشف عام عن تلك الحالة وترسمها رسما دقيقا يبين وقائعها ، وتبين كيفية توصلها الى رسم هذه الوقائع، ثم تدعو لجنة ثانية تعرض عليها ما توصلت اليه اللجنة الاولى. فاذا وافقت هذه على صحة عمل تلك، كان بها، والا فيعاد الكشف الى أن تتقرر صحة الكشف الى درجة قريبة من الخطأ أو الصواب. ثم بعد هذا تدعو السلطة المسؤولة لجنة اختصاصية لوصف العلاج. فتقوم هذه بشرح اسباب الحالة التى تشتمل على وقائع الحال وتصف العلاج وطريقة المعالجة، ثم تدعو لجنة اختصاصية اخرى وتعرض عليها مقررات اللجنة الاولى لتدقق فى صحة هذه المقررات الى درجة قريبة من الخطأ أو الصواب، واخيراً تقوم السلطة بتهيئة ما يلزم بناء على تلك المساعي، وتشرع فى التطبيق. وكذلك عليها أن تقوم على الدوام باستشارة تلك اللجان واطلاعها على عملها ومن الخطأ البالغ المؤدى الى الفشل حتما أن تتصور السلطة أن فى وسعها معالجة الاصلاح من غير درس وجمع الحقائق عن وقائع الحال

فلو اتخذنا هذه الطريقة أساسا لفحص طريقة معالجتنا تربية الاولاد لخدمة الوطن، فماذا يكون الجواب؟ أين البيان المدقق الذى يطلعنا على المسائل التى نحتاج الى معالجتها فى تربية الاولاد. وما هى هذه المسائل ياترى ؟ وما هى طرق الحل المنقحة المطلوب منا اتباعها ؟

إن تربية الامم لا تقوم باتباع طريقة الاوامر والنواهى، وطريقة الكيف. كذلك لا يجوز لاحدنا مطلقا أن يتصور أنه بذاته يستطيع أن يفكر بجد أن فى مقدوره القيام بوضع منهج لتربية الامة من دون أن يستعين بغيره من رجال التجارة والصناعة والزراعة وباقى

المؤسسات التى تؤلف هياة المجتمع .انى لاانكر أن هناك جهود كثيرة تبذل فى معالجة تربية الامة من نواح مختلفة ، لكن هل هذه الجهود ياترى منظمة وموحدة، وهل هى مستندة إلى حاجات البلاد؟ هل لدينا دائرة اختصاصية تكشف لنا عما اذا كان ماتوصلت اليه هذه الجهود صحيحا ومفيدا ؟ ذلك مالايسعنى الجواب عنه .

والآن دعونا ننظر إلى ما يخص المعلمين من هذا الموضوع ، ونلقى نظرة على مدارسنا : يقال إن العالم هو المدرسة الكبرى. وانا اعتقد أن المدرسة هى العالم الصغير النامى والعالم الاختبارى للنشء الجديد الذى سيدخل المجتمع شيئا فشيئا ويشترك فى شؤونه تدرجا ، والذى هو فى الاخير وريثنا فى الاعمال التى بايدينا الآن . فيشترط فى المدرسة أن تكون صورة طبيعية للمجتمع الذى نتمنى أن نحله محل مجتمعنا الحالى ، بمعنى أن تكون المدرسة نسخة حقيقية مصغرة للحياة المعدلة بمقتضى تلك الصورة ، حتى اذا ما اختبرها النشء الجديد وتربى عليها ، ثم خرج إلى العالم الاوسع يكون عندئذ فى مقدوره تحسين المجتمع الحالى . أما أن تكون المدارس محلا لما يسمونه بالدرل (Drill) (على وتيرة واحدة) ولدرس النظريات و الدعايات ، فذلك ادعى للفشل وخيبة الامل . ان لفظة طالب فى اللغة العربية تعنى أنه يطالب أو الحياة فيه تطلب وتتطلب ، واعتقد أن هذه اللفظة افصح تعبير لمسماها فى فكرة التربية. فالولد فى المدرسة طالب و المدرسة والمعلم والمنهج والدائرة تعرض، وهى وسائط للعرض . فلتكن هذه الصورة على الدوام أساسا لتفكيرنا كمعلمين ومدرسين ورجال معارف ، لنرى دائما ماذا يطلب الطالب وماذا نعرض عليه فى مدارسنا .

الطالب جسم حى صغير يطلب النمو والزيادة فى عضله وكافة قواه وقابليته وفى نفسيته و يتطلب القوة والاقتدار و الحذق والمعرفة ويتطلب فوق كل ذلك المناعة التى تحميه من العدوى من الامراض الاجتماعية التى سيتعرض لها فى حياته الكبرى . وانه من شروط تأسيس دور التربية أن تتوفر فيها الوسائط التى تقوم بما يتطلبه ذلك النمو و تلك القوى، وبحث هذه الوسائط يؤلف موضوعا واسعا فى علم التربية كتبت فى شأنه المؤلفات العديدة. غير أنى اعتقد بانه مهما تضاربت الآراء، فان المدرسة لاتصلح للتربية اذا لم تجمع ميادين اللعب والمكتبات و المختبرات و القوانين المشجعة لتقوية الطالبية فى الصغار بحرية تامة والمعلمين الذين يشعرون بانهم واسطة وبرسم الخدمة لطلابهم لا أسيادا لهم

انا لاأرى مدارسنا الحاضرة تصلح بشرط من الشروط المتقدم ذكرها لتربية الأولاد للغاية التى تتطلبها الحياة منهم ، وهي بحسب اجتهاد الشخص مدعاة للفشل المحقق فى تلك الجهة

يأتينا الطالب وهو قذر وضعيف فى جسمه وعقله واخلاقه . فيدخل المدرسة التى عوضا عن ان تسعى قبل كل شيء الى القيام بعملية تنظيفه و تقويته لمقاومة الفساد الاجتماعى المنتشر فى خارج المدرسة ، تتركه على ماهو عليه من القذارة والضعف، وتبدأ بالتدريس له وتعليمه على اصول هى بطبيعتها مدعاة للفساد .

يأتى الطالب المدرسة مشبعا بالعقائد الفاسدة والأوهام جبانا غاشما مستسلما مستصغرا نفسه كذو باغشاشا . فماذا نعمل به؟ نزيده تمسكا بعقائد لاحاجة له بها فى حياته، ندرسه ما يستحيل عليه فهمه وادراكه مما يصبح عقبة فى سبيل نموه و نعامله بالغطرسة والكبر ، ونطلب منه بعد ذلك أن يكون شجاعا مقداما مفكرا شهما . فهل تكون النتيجة غير زيادة فى القذارة والضعف

كثيرا مافكرت فى الجهة التى تسير فيها التربية الحاضرة فى البلاد فلم أجد لها فى المدارس من أثر يبرر الامل بأعداد الرجال لخدمة الوطن . وانما وجدت ان مدارسنا و ياللاسف واسطة للمحافظة على الاوضاع الحاضرة أكثر من اصلاحها . وطلابنا عموما يعيشون فيها حياة غير طبيعية و لاهادئة، بل انهم يعيشون حياة هياج و حماسة مبنية على «الفيتليزم» والفوضى. واصلاح التربية فى البلاد لايبدأ الا بالقضاء على نزعة الفوضى وقطع دابر « الفيتليزم » وادخال الفلسفة الايجابية بتأسيس فكرة يؤمن بها كل طالب وينشأ عليها محصلها أن لحياته كفرد معنى واسعا، وان لحياته فى المجتمع معنى أوسع .